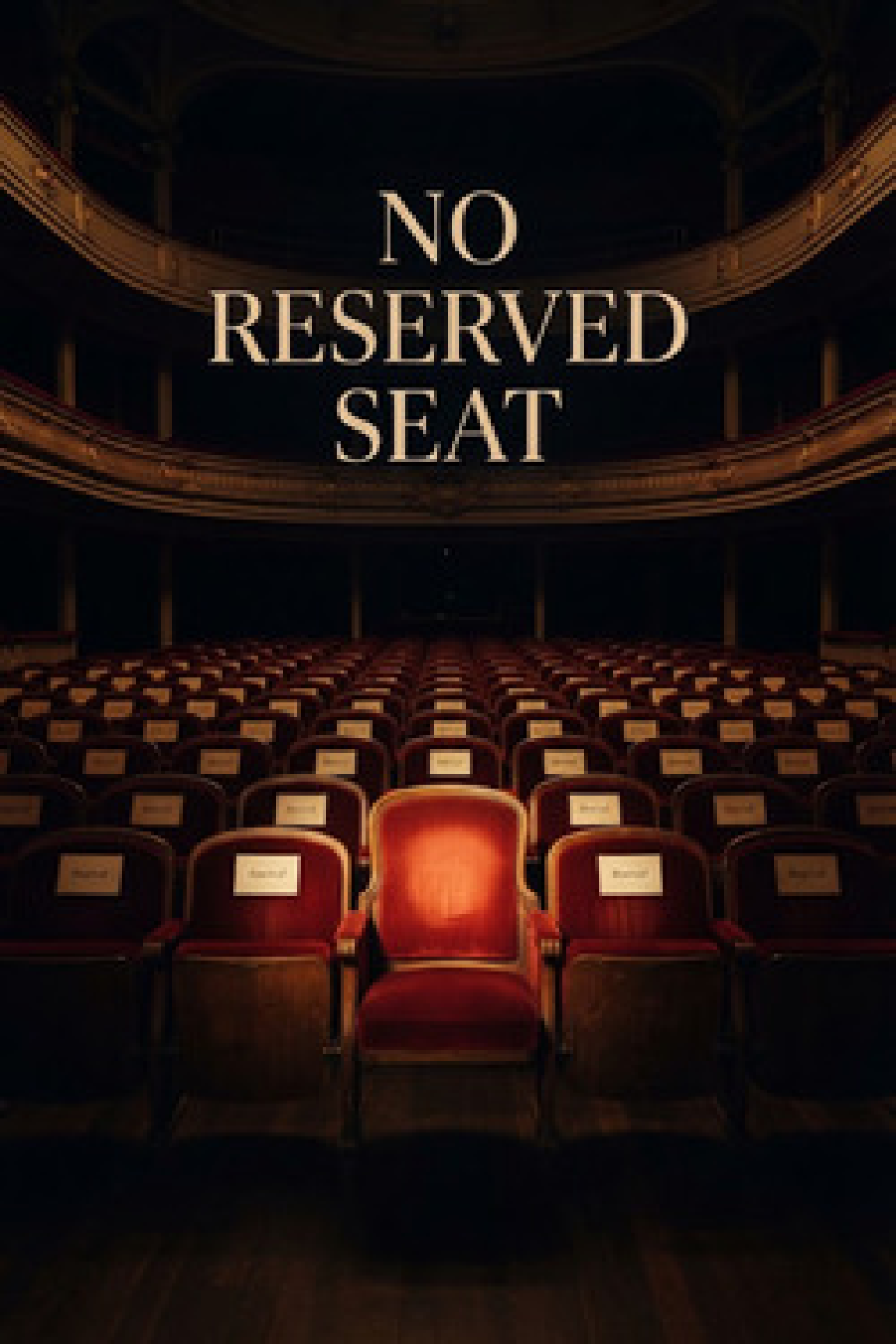

NO
RESERVED
SEAT

الجزء الثاني

عتبة 10

لا مقعد محجوز

لسنوات كثيرة اعتقدت أن الحكايات تُستخدم للشرح.

شرح حدث.

شرح حياة.

شرح اختيار.

شرح خطأ.

كانت قناعة طبيعية.

كلما قرأنا كتابًا أو أصغينا إلى حكاية أو تأملنا سيرة، نتوقع أن نجد جوابًا.

عبرة.

خاتمة.

معنى منظّمًا.

ثم اكتشفت شيئًا مختلفًا.

أهم الحكايات لا تشرح.

تتعرّف.

لا تقول لك ما يجب أن تفكر فيه.

تجعلك ترفع بصرك وتقول:

«وأنا أيضًا.»

إنه شيء صغير.

ومع ذلك يغيّر كل شيء.

لأننا في اللحظة التي نتعرّف فيها على أنفسنا في شيء ما، نكفّ عن كوننا متفرجين.

نصير مشاركين.

هذا الكتاب، وهذه العتبات، وهذا العبور الطويل لم تُكتب لإثارة الإعجاب.

الإعجاب هش.

يدوم قليلًا.

يعيش على المسافة.

أنا أردت شيئًا آخر.

أردت قربًا.

القرب لا يولد إلا حين يتعرّف إنسان على شظية من نفسه داخل حكاية آخر.

لا يهم البلد.

لا تهم اللغة.

لا يهم الدين.

لا تهم المهنة.

المهم هو التعرّف.

على مدى حياتي عبرت حدودًا كثيرة.

جغرافية.

مهنية.

شخصية.

وفي كل مرة وصلت إلى الخلاصة نفسها.

البشر أكثر تشابهًا بكثير مما يظنون.

تتغير الكلمات.

تتغير العادات.

تتغير التقاليد.

لكن تبقى الأسئلة كما هي.

الخوف.

الحب.

الغياب.

الأمل.

المسؤولية.

الخسارة.

البحث عن المعنى.

لهذا يمكن لحكاية كُتبت في مكان أن تُفهم في الطرف الآخر من العالم.

ليس لأنها تحكي ثقافة.

بل لأنها تحكي حالة إنسانية.

حين بدأت أجمع شظايا تجربتي، لم أكن أتخيّل ملحمة.

لم أكن أتخيّل نظامًا سرديًّا.

لم أكن أتخيّل حتى وجهةً.

كنت ببساطة أحاول أن أفهم ما الذي بقي.

بعد العمل.

بعد الأسفار.

بعد المحن.

بعد الناس الذين التقيتهم.

بعد السنوات.

جاء الجواب ببطء.

بقي أقل بكثير مما ظننت.

وأكثر بكثير مما تخيّلت.

بقيت المبادئ.

العلاقات.

الدروس.

الحضور.

المسؤوليات التي قبلتها.

الولاءات التي حافظت عليها.

وقبل كل شيء بقي شيء لم أستطع تعريفه.

نوع من خيط.

رابط غير مرئي بين تجارب تبدو متباعدة.

الخيط نفسه الذي ربما رافق حياتك أنت أيضًا.

لأن كل وجود يملك نسيجًا سريًّا.

في البداية لا نراه.

نحن مشغولون جدًا بالعيش.

بالركض.

بردّ الفعل.

بالبناء.

ثم، عند نقطة ما، يمنحنا الزمن مسافة كافية.

وأخيرًا نبدأ نتأمل الرسم.

ليس مثاليًا.

ليس مستقيمًا.

لكنه حقيقي.

ربما هذا هو السبب في أننا نحكي الحكايات.

ليس للتعليم.

بل للتعرّف.

التعرّف على ما كان.

على ما يظل موجودًا.

على ما يستحق أن يُنقل.

كثيرًا ما يسألونني ما الرسالة.

الحقيقة أنه لا توجد رسالة واحدة.

كل قارئ سيدخل من باب مختلف.

أحدهم سيتعرّف على نفسه في الأب.

وأحدهم في الابن.

وأحدهم في الخسارة.

وأحدهم في الولادة الجديدة.

وأحدهم في الرحلة.

وأحدهم في المرض.

وأحدهم في الصمود.

وأحدهم في الحب.

الحكاية هي نفسها.

المدخل يتغير.

ولا بأس بذلك.

لأنه لا سرد يخص كاتبه تمامًا.

في اللحظة التي يُقرأ فيها، يصير أيضًا لمن يعبره.

تعلّمت أن أحترم هذا التحوّل.

ألا أتحكم فيه.

ألا أوجّهه.

أن أدعه يحدث.

في النهاية، كل قارئ يعيد كتابة الكتاب الذي أمامه.

مستعينًا بتجربته.

مستعينًا بجراحه.

مستعينًا بذاكرته.

لهذا لا توجد قراءة نهائية.

توجد آلاف القراءات الممكنة.

كلها مشروعة.

كلها أصيلة.

كلها إنسانية.

وقد وصلت إلى هنا، بعد كل هذه العتبات، لا أشعر بالحاجة إلى إقناع أحد.

ليس لديّ ما أثبته.

لستُ مضطرًا إلى البحث عن الاستحسان.

لستُ مضطرًا إلى بناء نصب تذكاري.

يكفيني احتمال أبسط.

أن يجد أحدهم، وهو يقرأ هذه الصفحات، نقطة تماس.

تعرّفًا.

صدى.

جملة.

مقطعًا.

صمتًا.

شيئًا يجعله يفكر:

«لستُ الوحيد.»

ربما هذه هي المهمة الحقيقية لكل سرد يستحق أن يُروى.

أن يقلّص المسافة بين البشر.

ولو لدقائق قليلة.

ولو لصفحات قليلة.

ولو لعتبة واحدة.

لأنه في نهاية الطريق، حين تفقد الألقاب أهميتها، وحين تصير الإحصاءات غبارًا، وحين يبدأ الزمن عمله، يبقى سؤال واحد.

ليس من أُعجبت به.

ليس من تبعته.

ليس من قلّدته.

بل من تعرّفت عليه.

ولهذا توجد هذه العتبة.

ليس كخاتمة.

ليس كدعوة.

ليس كتعليمات.

بل كاحتمال.

إن كنت قد صادفت على امتداد هذه الصفحات شيئًا يخصّك، فالباب مفتوح بالفعل.

لستَ مضطرًا إلى طلب الإذن.

لستَ مضطرًا إلى إثبات أي شيء.

عليك فقط أن تعبره.

ادخل إن تعرّفت على نفسك.